العدد (1604) السنة السابعة - الخميس (10) أيلول 2009 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

الآراء الـواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

الـكـامـيرا الخـفـيـة أمـــام عـدسـة الـتـحـلـيـل

هل انت ممن يتابع ويستمتع بمشاهدة برامج الكاميرا الخفية في التلفزيون؟ اتريد ان تعرف لماذا تضحك على مشاهدها؟ وما هي النهاية التي ستؤول اليها نفسيا وسلوكيا بعد (٣٠) يوما من المشاهدة اليومية لهكذا برامج؟ وما هو الخطر الذي يتربص بك جراء هذه المشاهدة المستمرة؟
المقال التحليلي ادناه سيخبرك عن كل هذا. قبل الحديث عن برامج الكاميرا الخفية وكيف ظهرت لا بد من ان تعرف متى وكيف ظهرت هذه البرامج ولماذا؟

د. نهى الدرويش

يعود اهتمام الباحثين في علم دراسة السلوك الفردي والجماعي الى اكثر من قرنين، الا ان المشكلة الكبيرة التي كانت تواجه هؤلاء الباحثين هي في كيفية دراسة السلوك ميدانيا وليس مختبريا وبخاصة ان معظم الظواهر السلوكية لاتبدو صريحة وواضحة وتلقائية اذا علم المفحوصون (الاشخاص الذين تقع علهم التجربة) انهم معرضون للتجربة، لذا فقد تفنن الباحثون في اخفاء الاهداف الاساسية من بحوثهم على المفحوصين لحين اكتمال البحث، والمهم في هذا ان كل الدول المعنية بهذه البحوث فرضت قوانين واحكاما خلقية و ضوابط جزائية لتنظيم العمل في هذه البحوث، اجد من المهم جدا ان تعرفها بشكل مختصر ولعل اهمها هو عدم الحاق اي ضرر مادي او معنوي بالمفحوص، وضرورة اعتماد الباحث على اقرار من المفحوص بموافقته على التطوع لاجراء التجربة البحثية عليه، والزام الباحث بعدم الافصاح عن شخص المفحوص الا بموافقته، والزام الباحث بدفع اجر متفق عليه مسبقا للمفحوص فضلا عن تقديم بعض الطعام والماء للمفحوص اذا زادت مدة التجربة عن ساعة او كانت في اوقات تناول الوجبات الرئيسة.

ومع تقدم وتوسع نطاق البحوث وتعقد ظواهر السلوك الانساني بسبب المستجدات التقنية والمعلوماتية، زادت مشكلة دراسة السلوك امبريقيا(على ارض الواقع) بسبب المحددات القانونية، حتى اعلنت بحوث الهندسة الوراثية وما احدثته من جدل قانوني و فكري وفلسفي واخلاقي وديني، وشرعت المؤسسات البحثية وبخاصة ذات الاهداف السياسية غير المعلنة بالبحث عن طرق للالتفاف على القانون لاجراء بحوثهم الميدانية فيما يتعلق بالسلوك الفردي والجماعي، وهكذا ظهرت فكرة الكاميرا الخفية، اذ صارت هذه المؤسسات ترسم الاهداف والتمويل الانتاجي(من تحت الستار) فيما يقوم الكادر الفني بابتكار الطرق المشوقة للعرض،وسواء كان الكادر المنفذ للعمل يعي او لا يعي بالاهداف الحقيقية (التي غالبا ما تكون اهدافا لئيمة لان مخرجاتها تنطوي على تطبيق سياسة اقتصادية او دولية او حتى عسكرية) فهذا لا يهم لان هذه المؤسسات تمتلك من الخبرة النفسية والعملية بحيث تغلف عملها بإحكام ودون السماح بأي نسبة شك، فهذه لعبتها حصريا.تمثلت فكرة الكاميرا الخفية بداية بتعريض بعض المارة في الشوارع (عينة عشوائية) الى بعض المثيرات وتسجيل ردود افعالهم، لذلك تلاحظ تعدد الاشخاص وتنوع الاماكن وهذا ما يطلق عليه (الوقاية من تلوث التجربة) اذ من الممكن ان تشيع في الساعة نفسها في شارع ما وجود هكذا موقف (مقلب) ما يؤدي الى معرفة المارة فتفشل التجربة لذا يتم تغيير المكان لعدم حدوث تلوث في التجربة. كما ان هذا التنوع يضمن العشوائية في اختيار العينة وبحسب المنطق البحثي فان العشوائية هذه تضمن التكافؤ بنسبة مقبولة منطقيا في مدى تمثيل العينة لمجتمعها الاصلي (مجتمع البحث)، وعلى هذا يمكن تعميم النتائج، ماذا يعني هذا؟ هذا يعني ان اتصاف هذه المجموعة بسرعة الغضب مثلا يعني ان عموم المجتمع سريع الغضب، وهنا تتطور النتائج للبحث عن الطرق التي تستفز الغضب ومتى واين، وما الذي يتلو الغضب هل هو الندم ام السخرية ام الاستمرار فيه ام العدوان والعنف، وكيف يمكن السيطرة عليه ومتى واين والى اي مقدار زيادة ام نقصانا. وعلى هذا تستطيع ان تقيس مختلف ردود الافعال التي تكمن خلف الموقف المفاجئ او الغامض اوسلسلة المواقف المتصاعدة بالشدة او المتكررة على نحو غامض الاهداف معرفيا على المتلقي، تفحص عزيزي القارئ هذه المعايير وانت تشاهد برامج الكاميرا الخفية فبامكانك ان تصل الى عشرات ومئات الاجابات، فقط عليك ان تراقب بعين ناقدة موضوعية وتبحث عن الهدف الخاص من البرنامج بعد ان تتجنب سذاجة هدف المتعة، متعتك ستكون اكبر بكشف ماوراء الستار وما وراء هدف المتعة المجانية، وبخاصة اذا وضعت نصب عينيك الفرق بين الاهداف العلمية السامية والنبيلة والاهداف المؤدلجة اللئيمة، فالباحث عن جرثومة بهدف اكتشاف مصل وقائي لها يختلف حتما عن الباحث عن تلك الجرثومة بهدف تطويرها واستخدامها سلاحا عسكريا بيولوجيا. ولا تستغرب عزيزي القارئ وتتساءل عن الجانب الاخلاقي في الموضوع لكلا الطرفين(الباحث والمنتج) لان الربح المادي يجمعهما بهدف واحد. كما ان استخدام الناس بوصفهم عينة فحص مختبري يتناقض مع المبدأ الاخلاقي للبحث العلمي لانه يحولهم من مفحوص متطوع لخدمة العلم الى جرذ مختبرمخدوع لا حول له ولاقوة.

واذا انتقلنا من هذا المحور الى محور المتلقي(المشاهد) المستمتع بهذه البرامج فيمكن تصنيفه من وجهة نظر علم النفس الى ثلاثة انواع:

-المتلصص: هو الذي يستمتع(يتلذذ) بمراقبة سلوك الآخرين من دون علمهم بوصف السلوك الشخصي غير المقصود بالاعلان عنه من قبل ذلك الشخص هوخصوصيته العورية، اي ان انتهاك هذه الخصوصية يسبب له افصاحا عن جوانب من شخصيته لا يرغب بالافصاح عنها لاسباب عديدة قد تكون خدشا لصورته العامة امام الآخرين او حتى امام ذاته ما يسبب له احراجا وخجلا، لذا فهي تعد
عورة شخصية، والمتلصص يتلذذ بكشف هذه العورة (هنا لابد من الاشارة الى ان العورة النفسية تعني خصوصية الفرد السلوكية المقصودة او غير المقصودة ولا تقتصر على المعنى الجسدي او الجنسي)، والكاميرا الخفية تسعى الى خرق هذه الخصوصية باسم المزحة.

-السادي: هو الذي يستمتع (يتلذذ) بإيذاء الآخرين اجرائيا (ماديا او معنويا) سواء هو من قام بالفعل او شخص آخر، المهم ان تكون هناك ضحية تتعذب، والحيرة والخوف والصدمة المفاجئة والقلق والتردد كلها عذابات تصدر عن ضحايا الكاميرا الخفية، والسادي يسأل من يجاوره في المشاهدة التلفازية وغالبا ما يكون مقربا عزيزا: لو كنت مكان هذا الشخص ماذا كنت ستفعل؟ فاذا جاء الجواب مطمئنا لساديته، تلذذ بتصور عذاب المجيب واذا حصل على جواب عقلاني معتدل تظاهر بعدم الاقتناع والرضى، واحيانا يغلف السادي نفسه فلا يفصح عن رغباته وانما يتخيل من يحبه بدل الشخصية التلفازية المفحوصة ويسقط عليه ردود افعال مفترضة لذلك الشخص المحبوب من خلال ما يعرفه عنه من خصائص.

-المسوشي: وهو الذي يستمتع (يتلذذ) بإيذاء ذاته ماديا او معنويا سواء هو من قام بالفعل او غيره، وهنا يسعى الماسوشي الى تخيل نفسه بدل المفحوص، وغالبا ما يستخدم الانكار لتغليف ذاته المسقطة على المفحوص فيقول: لو انا كنت مكانه لفعلت كذا وكذا في محاولة انكارية تحويلية لدرء التهمة عن ذاته (تهمة التلذذ).

وغالبا ما تسفر السادية عن هويتها بشكل صريح ومبطن في آن واحد في كثير من السلوكات بسبب اشراك الآخر في الفعل او الصورة الذهنية او الاجرائية فيما تكون الماسوشية مناورة مع الذات ومشاكسة مع الذات الاخرى لتصدر الفعل المؤلم الذي غالبا ما يكون لا قصديا او كرد فعل على مشاكسة الماسوشي.

وارجـو عزيـزي القـارئ ان لا ترتعب من هذه التحليلات وعليك ان تعرف ان النفس البشرية فيها من هذا وذاك بنسب متفاوتة والشخصية السوية هي الشخصية المتوازنة التي لاتتطرف في اظهاروتبني السلوكات في حديها السلبي فقط او الايجابي المثالي فقط،فكل الناس لديهم شتى الرغبات الخيرة والشريرة والمجتمع والتربية وتقويم الذات والمحددات الاجتماعية كلها تطمر الرغبات الشريرة او تمنعها من الاستفحال،اما اذا توجه الاعـلام- بوصفه مؤثرا تربويا في الاتجاهات والقيم- بشكل معاكس وتحول من دوره البنائي الى دوره الهادم فهنا لابد لك من الوقاية والتسلح بالتفكير الناقد لكي لا تقع فريسة الوهم النفسي والامراض السلوكية، وهذا يعني انك لحد الآن لست متلصصا او ساديا او ماسوشيا ولكنك ستكون واحدا من هؤلاء او كلهم مجتمعين اذا واظبت على مشاهدة الكاميرا الخفية لمدة ثلاثين يوما لانك بحسب قوانين السلوك النفسية سيتم تثبيت السلوك لديك بالتكرار، واذا كنت صائما فالامر ادهى وامر لان من خصائص الصائم علميا انه نفسيا متلق وباعث ممتاز لان الجانب النفسي والروحي لديه اكثر حساسية.

اما اذا سألت: لماذا اضحك عند مشاهدة هذه المواقف في برامج الكاميرا الخفية فسأكون صريحة معك واقول: لانك تتلذذ بالجانب الإسقاطي لما تشاهد. لذا انصحك ان تكون مراقبا ناقدا جيدا وصريحا لذاتك ولما حولك ولاحظ ان العلاقة طردية بين شدة الضحك وشدة الموقف الذي تعرضه الكاميرا الخفية (بوصف الضحك سلوكا معبرا عن اللذة) واذا انتقلنا الى المفحوص الذي تحول الى جرذ مختبري كما اسلفنا دون ان يعي ذلك (وعذرا لكل ضيوف الكاميرا الخفية) فهنا نلاحظ بوضوح بوصفنا مشاهدين ناقدين بموضوعية ظهور نمط الشخصية السائدة فهو اما سادي يواجه الموقف برد فعل عدواني اوعنيف او ماسوشي يواجه الموقف بالضحك، ومهما حاولت الشخصية ادعاء التوازن الا ان عنصر المفاجأة والسرعة والمباغتة لا تتيح له الفرصة لاتخاذ موقف متوازن لذا يبدو له الموقف غامضا او متناقضا او متشابكا فيقع في فخ الحيرة والبحث عن تفسير عقلاني لاعادة توازنه النفسي والمعرفي.

وهنا علينا ان نلاحظ حجم الاحتمالات الهائلة التي تترتب على مخرجات هذه السلوكيات وبخاصة لو جرى تعميمها على مجتمع محلي كامل، ولنأخذ المثال السابق وهو تحريض شعور الغضب، متى يصل الى مستوى العدوان والعنف الجسدي لدى الشخص العراقي؟ نلاحظ ان المفحوص (الضيف) يصل حد المبادرة بهذا السلوك عندما يواجه موقفا فيه اعتداء بدني او لفظي على امرأة (مقدمة البرنامج) ورغم ان هذه المرأة لا تمت الى الآخر بصلة دم او قرابة، الا ان هذا الاعتداء يجسد اختراقا عدائيا للمنظومة القيمية الشخصية و الاجتماعية للمفحوص فماذا يكون رد الفعل العراقي؟ نعم رد الفعل العراقي لان تكرار السلوك نفسه مع ثلاثين عراقيا يعطي صورة حقيقية يمكن تعميمها على كل المجتمع، وهنا تم تشخيص الغضب من ابسط وادنى مستوياته الى اعلى واشد مستوياته او كما يعبر عنه احد برامج الكاميرا الخفية: الى حد انقطاع (الدكمة) وتمزق القميص غضبا؟

وهنا نتساءل منطقيا: اكل هذا مزاح؟ وما هذه السماجة التي تصل حد المساس بالمنظومة القيمية للشخص؟ والتهكم عليه وسحبه احتيالا الى منطقة التجاوز على مقدرات الآخرين بعد التجاوز على مقدراته الشخصية، علما ان من بين المفحوصين فنانين جديرين بالاحترام والتقدير من قبل عموم المجتمع العراقي.

كما لابد من ان نتساءل عن الجدوى من تفشي وباء الكاميرا الخفية في الفضائيات العربية وبخاصة العراقية، فاذا كان الهدف علميا او سياسيا في الغرب معروفا كما اسلفنا فما هو الهدف عندنا؟ هل يعقل ان تبنى التسلية على مواقف بلا ضوابط اخلاقية؟ وان يشتد الضغط النفسي بدل الموقف الواحد الى سلسلة مواقف تصل حدا اكبر من الاحراج فتصل الى التحريض والدفع لاستخدام الاسلحة (حتى لو كان مسدسا كاذبا)؟ ماذا تريد ان تقول هذه البرامج وكيف تريد ان ترسم صورة مشوهة عن الانسان في مجتمعنا، ومنذ متى اصبحت الكوميديا تشوه صورة السلطة التنفيذية (متمثلة بالكلبشات) بدل اعطائها الصورة الصحيحة من استخدامها للمحافظة على امن المجتمع، فضلا عن تشويه صورة العدالة (متمثلة بالمحاكمة) بدل الدفع باتجاه التثقيف الحضاري لاحترام هذه الصور وتصحيح الخاطئ منها على ارض الواقع.

كما لابد من ان نتساءل: لماذا تستهدف هذه البرامج الفنانين بشكل اساسي ؟ هل يعود هذا لسهولة الاتصال بهم؟ ام لاستغلال حب الناس لهم؟ ام لكونهم يتمتعون بقدر عال من سعة الصدر والتسامح والطيبة؟ وهل يدرك معدو هذه البرامج انهم يغذون الرغبة التلصصية عند المشاهد كون الفنانين نماذج متفردة ولها خصوصية محل استثارة من قبل المشاهدين، ولماذا لا تتم استضافة شخصيات سياسية وتعريضهم للكاميرا الخفية؟ هل تخشى الفضائيات من غضب السياسي وما قد يصدر عنه من ردود افعال عاجلة ام اجلة؟ ولماذا لا يفكر معدو هذه الكاميرات بشكل ايجابي وذكي مثلا ان يقدموا للناس في الشارع اسم مرشح سياسي وهمي يقدم مغريات مادية لناخبيه ليفحصوا مدى موضوعية الناخب العراقي في اختيار مرشحه؟ اليس التعرض الى قضايا ساخنة تقع في صميم اهتمام الانسان العراقي اجدى واكرم من التعرض لخصوصيات الاخرين وبخاصة الفنانين الذين يهبون كل حياتهم من اجل اسعاد وتوعية المجتمع واعادة توازن التاريخ بين الفعل القبيح والفعل الجميل من خلال بث الفرح والجمال والوعي بالافضل.

أخيراً لابد من ان نتساءل: ان من يعد ويقدم برامج الكاميرات الخفية هل يجرؤ على الاجابة ومناقشة الاسئلة اعلاه بصوت مسموع للجميع لكي يعرف المشاهد الحقيقة الكامنة خلف اعداد وتقديم مثل هذه البرامج وما اذا كانت تخضع لتخطيط وبرمجة وتقويم على الاقل من الجانب الاخلاقي الذي يحتم علينا ان لا نرمي ابناء مجتمعنا في مهاوي المرض النفسي والاسفاف الفكري، ام هي بدعة من بدع العولمة تلقيناها بسلبياتها وزدنا عليها سوءا. وهل يعرف هؤلاء ان المجتمعات المتقدمة علميا وتقنيا لا تخلو فيها اي مؤسسة سياسية او اعلامية اوصناعية او تجارية من مستشار نفسي اجتماعي او تربوي لان التعامل مع الآخر يستوجب مهارة، سواء كانت هذه المهارة سلبية ام ايجابية والمهارة لاتأتي بالارتجال وانما بالعلم والتخطيط.

ملاحظة: هذا الموضوع ليس للنشر فقط وانما للمناقشة المفتوحة مع كل الفضائيات التي تعتمد الكاميرا الغبية.

حـرب إسرائيلية ضد مصر في إفريقيا

حسين عبدالرازق

نشرت الصحف المصرية يوم السبت الماضي تصريحاً لوزير الموارد المائية والري د. محمد نصر علام تعليقاً على جولة وزير خارجية اسرائيل الحالية في عدد من الدول الأفريقية بينها ثلاث من دول حوض نهر النيل، قال فيه إن وزارته تتابع باستمرار التحركات الاسرائيلية في دول حوض النيل، مشيراً إلى أن مصر تربطها بدول حوض النيل علاقات قوية، وبالتالي فإن زيارة أفيجدور ليبرمان وزير الخارجية الإسرائيلية لا تعنينا في شيء، مضيفاً قوله: "ما تسيبوه يلف زي ما هو عايز براحته".

وهذا التصريح الغريب من وزير مسؤول يكشف عن جهل وعدم إحساس بالمسؤولية واحتقار للرأي العام والحرص علي خداعه وتضليله فأهمية زيارة وزير خارجية إسرائيل لخمس دول إفريقية وأهدافها المعلنة والخفية، أمر واضح للعيان ويعرفها القاصي والداني، إلا وزير الموارد المائية والري المصري وكانت ولاتزال محل تعليقات وتحليلات في الصحف والقنوات الفضائية.

لقد بدأ وزير خارجية إسرائيل زيارته يوم الأربعاء الماضي لخمس دول إفريقية هي أثيوبيا وكينيا وأوغندا وغانا ونيجيريا والدول الثلاث الأول من دول حوض نهر النيل وتمد مصر بأكثر من ٨٥٪ من مياه النيل التي تأتي إلينا من منابعه ويصاحب الوزير الإسرائيلي المعروف بعدائه لمصر والذي سبق له الإدلاء بتصريح هدد فيه بضرب السد العالي وإغراق مصر، وفد كبير يضم رجال أعمال إسرائيليين ودبلوماسيين ومسؤولين عسكريين وزار ليبرمان أثيوبيا في بداية جولته، حيث شارك في حفل الافتتاح الرسمي لمركز »بوتاجيرا لزراعة البساتين المتميزة "المتخصص في تكاثر الفواكه والخضراوات الاستوائية والذي تم تأسيسه من جانب وزارة الزراعة والتنمية الريفية الأثيوبية بالتعاون مع الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية" يو إس إيد " والوكالة الإسرائيلية لتنمية التعاون الدولي" ما شاف كما حضر ليبرمان منتدى اقتصادياً عقد على هامش الزيارة وضم عددا كبيرا من رجال الأعمال المرافقين له ورجال أعمال أثيوبيين.

وتأتي جولة الوزير الإسرائيلي بعد اتهامات وجهها الزعيم الليبي معمر القذافي لإسرائيل خلال القمة الاستثنائية للاتحاد الإفريقي التي عقدت مؤخراً بالعاصمة الليبية طرابلس وغاب عنها الرئيس المصري حسني مبارك بتوترك اسرائيل في تأجيج الصراعات في القارة فالإسرائيليون يسعون للتدخل في مشاكل كل الأقليات في أفريقيا وغيرها بحجة أنهم .. أي الإسرائيليين اليهود.. أقلية، وبالتالي يسخرون سفاراتهم للبحث عن الهوية الإقليمية سواء كانت دينية أولغوية أوعرقية، ومن خلال محاولتها القيام بذلك تسعي إلي أن يكون لها امتداد داخل كل دول إفريقيا وحتى خارج إفريقيا.

وطبقاً للمصادر الإسرائيلية فهناك أربعة أهداف محددة للسياسة الإسرائيلية في أفريقيا وبالتالي لجولة "أفيجدور ليبرمان" الحالية.

الهدف الأول هو تحسين صورة إسرائيل ووضعها الدولي وتغيير موقف الدولة الإفريقية من إسرائيل فمن المهم للغاية في إطار الاتحاد الإفريقي أن تعكس قرارات ونشاطات الدول الإفريقية تناولاً إيجابياً وبناء يرفض القرارات المنحازة ضد إسرائيل على حد قول ليبرمان.

إعادة إنعاش العلاقات مع الدول الإفريقية التي تدهورت عقب حرب ٣٧٩١ كما قال إيجال بالمور المتحدث باسم ليبرمان لم يزر أي وزير خارجية إسرائيلي بلدان إفريقيا جنوب الصحراء منذ ٢٠ عاماً، والهدف الآن هو إنعاش علاقتنا السياسية والاقتصادية.

الهدف الأساسي والرئيسي هو التأثير علي دول حوض نهر النيل في علاقتها بمصر والسودان فيما يتعلق بكميات المياه التي تتوافر لمصر والسودان. من مياه النهر والتوقيت هنا غاية في الأهمية، فمصر تسعي منذ ٧ سنوات لإقرار الإطار المؤسسي والقانوني لمبادرة حوض النيل والذي يضمن لمصر الاعتراف بحقوق مصر والسودان في استخدام مياه النهر والتي تنظمها مجموعة من الاتفاقات والمعاهدات منذ فترة الاستعمار الخارجي لإفريقيا وضرورة الإخطار المسبق لدول المصب بأي إنشاءات أو مشروعات تقام على النهر وفروعه وموافقة دول المصب، والالتزام بقاعدة التصويت بالإجماع عند نظر تعديل أي من البنود الأساسية للاتفاق وقد فشلت مصر في إقرار هذا الإطار خلال انعقاد المجلس الوزاري لدول حوض النيل الشرقي الذي يضم وزراء ٩ دول هي : مصر والسودان وأثيوبيا وأوغندا وكينيا وتنزانيا والكونغو ورواندا وبورندي والذي عقد يومي ٧٢ و ٨٢ يوليو/تموز الماضيين في الإسكندرية ومنح المؤتمر مصر ٦ أشهر لإجراء مزيد من المشاورات والمباحثات للاتفاق علي هذا الإطار تنتهي في يناير/كانون الثاني القادم، وتنشط الدبلوماسية الإسرائيلية لتشجيع الدول الإفريقية التي عارضت بقوة المطالب المصرية في مؤتمر الإسكندرية، خاصة كينيا وأوغندا، وتعرض مساعدتها على هذه الدول لإقامة سدود ومشروعات مائية على النيل، وتحريضها على المطالبة بتعديل اتفاقيات توزيع حصص مياه النيل لزيادة حصة هذه الدول وتقليص حصة مصر، وقال دبلوماسيون أفارقة " إن توقيت الزيارة يؤكد وجود مساع إسرائيلية لإجهاض المفاوضات التي تجريها مصر مع هذه الدول للحفاظ على حصتها من مياه النيل".

الهدف الأخير تجاري اقتصادي، فإسرائيل تعتبر إفريقيا سوقا رئيسيا وحيويا للسلاح الإسرائيلي والتقنيات المتطورة وأرضا خصبة للتعاون الأمني مع إسرائيل،وهناك عدد كبير من ضباط المخابرات وضباط الجيش الإسرائيلي ينشطون في إفريقيا في مهمات متعددة كالتدريبين العسكري والأمني، كما ينشط فيها وكلاء شركات السلاح والتصنيع العسكري.

إن ما تقوم به إسرائيل في إفريقيا بكل تفاصيله وأبعاده هو حرب ضد مصر وحصار لها، ووقوف مصر غير مبالية أو مدركة لطبيعة هذه التحركات الإسرائيلية، كما عبر وزير الموارد المائية والري،كارثة حقيقية، والخوف كله ألا يكون موقف وزير الموارد المائية موقفا شخصيا ناتجا عن الغفلة وعدم المعرفة، وإنما هو موقف لوزارته التي تتحمل جانبا مهما من السياسة المصرية في القارة، وموقفا للدولة المصرية، بما في ذلك رئاسة الجمهورية والأجهزة الأمنية التابعة لها ووزارة الخارجية،ولكي نقطع الشك باليقين فالمطلوب من هذه المؤسسات أن تعلن موقفا واضحا من التحركات الإسرائيلية وتوضح للرأي العام أبعاد السياسة المصرية في إفريقيا ومع دول حوض نهر النيل تحديدا، وأن تقرن هذا الإعلان بممارسات عملية لتحقيق نتائج إيجابية لهذه السياسة.

سطـوة الفتـوى

فريدة النقاش

رفضت المنظمات الديمقراطية وبعض الأحزاب ومنظمات النساء في المغرب، أن يكون للمملكة مفتي، وفعلت المنظمات ذلك لأنها استوعبت تجربة مصر التي غرقت في الإفتاء في السنوات الأخيرة فإضافة إلى المفتي الحكومي هناك المئات ممن يسمون أنفسهم شيوخا ورجال دين، تنفتح أمامهم أبواب الإعلام خاصة في شهر رمضان، ليغرقوا الجمهور في الفتاوي المتناقضة في الصحف والبرامج التليفزيونية والإذاعية ومواقع الإنترنت والمدونات وصولا إلى البيوت حيث يوزع بعضهم ما كتبه مجانا. وتعالج الفتاوى المتناقضة كل شؤون الحياة بدءا من طريقة الأكل والشرب وصولا إلى أدق تفاصيل العلاقات بين الزوجين، ومن العلاقة بالله. سبحانه. إلى التعامل مع الجيران والأصدقاء وزملاء العمل، لقواعد اختيار الزوج أو الزوجة، ويجري استكمال الفتاوى بالنشر المتزايد للمطبوعات والبرامج الدينية والمواعظ وأشرطة الكاسيت التي تبث الذعر في النفوس من عذاب القبر وما سيلقاه الإنسان العاصي. طبقا للفتوي، من أشكال للتأديب والإذلال وصولا للحرق ثم العودة للحياة لحرق آخر، وتدوم مثل هذه العقوبات للأبد في الحكايات المخيفة التي ترعب الناس من عذاب القبر، والتي تحول حياة بعض البسطاء على هذه الأرض إلى جحيم من توقع العذاب في الآخرة، وتعطل قدرة الإنسان على التفكير المستقل والعقلاني في أمور حياته ومماته، في مصلحته ودينه، إذ ينقض الإفتاء على الجانب الرحب المتسامح والعقلاني في الدين.

والأهم من هذا كله أنها تلعب الدور الأكبر في إبعاد ملايين الناس عن التفكير في السياسة، أو التساؤل حول الاختيارات الاقتصادية والاجتماعية، لأن مثل هذه الاختيارات هي ليست في الواقع اختيارات وإنما قدر ونصيب مكتوب لا يستطيع البشر تغييره، ومن ثم عليهم أن يتقبلوه ويتعايشوا معه، ويمشوا (جنب الحيط) وهم يعدون أنفسهم لليوم الآخر حتى يتجنبوا العذاب، إذ تتمحور حياتهم حول هذا الألم الوجودي.

صدق من قال إذن أنه حين يحدث التلاعب بالدين فإنه يتحول إلى قوة سياسية مخيفة، وحين تجيد الدولة عملية التلاعب هذه، وهي تتحدى الجماعات الاسلامية السياسية وتزايد عليها، فإنها تعرف جيدا ماذا تفعل فهي تبعد عن نفسها مستخدمة أمضى الأسلحة خطر الجماهير المسيسة التي تتساءل وتنقد وتنظم نفسها دفاعا عن حقها في العيش الكريم وفي الحرية والعدالة، ومشروعية أن يكون لها قول في تسيير أمور البلاد بصورة حقيقية وجدية لا شكلية كما هو حادث الآن.

لقد تمادت الدولة في التلاعب بالدين حين أطلقت وزارة الداخلية كما تقول الزميلة سحر الموجي رجال شرطة في أسوان يطاردون المفطرين جهرا في رمضان على طريقة جماعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في السعودية، والتي سبق أن صدرت لنا الفكر الوهابي المغلق والمعادي للحداثة والديمقراطية والحرية، وها نحن نجني في كل جوانب حياتنا النتائج المريرة لخلط الدين بالسياسة حيث يؤدي كل منهما الآخر.

لقد وجدت المجتمعات الإسلامية نفسها وهي تتقدم على طريق العصر الحديث حيث ينفصل الدين عن السياسة، وقد دخلت إليها تنظيمات جديدة ورؤى جديدة للعالم، وأفكار تحث على اعتبار الدين مسألة شخصية بين الإنسان وربه، ولكن القوى الرجعية على الصعيدين الوطني والإقليمي وفي سعيها للحفاظ على مصالحها غير المشروعة، أخذت تطلق آلية الفتوى بهدف بسط سلطة هذه القوى الرجعية باسم الشريعة على مجتمعات كانت قد قطعت شوطا طويلا على طريق الحداثة والتحرر.

ومادام الديني لم يستقل عن السياسي كما يقول الباحث المغربي علي أومليل. أي ما دامت الدولة لم ترس قواعدها في استقلال عن الشريعة، أو تقتطع لنفسها مجالا مدنيا لا دخل لما هو ديني فيه، فإن المجتمعات الإسلامية ستعرف دائما سلطة الناطقين باسم الشريعة، وسيظل الباب مفتوحا باستمرار لمختلف أصناف الأصولية في المستقبل كما في الماضي.

والقوى الديمقراطية مدعومة لخوض هذه المعركة ضد سطوة الفتوي حتى النهاية، وعقل الجماهير هو ساحة هذه المعركة الصعبة.

آراء وأفكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:
١. يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة .
٢. ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:

Opinions112@ yahoo.com